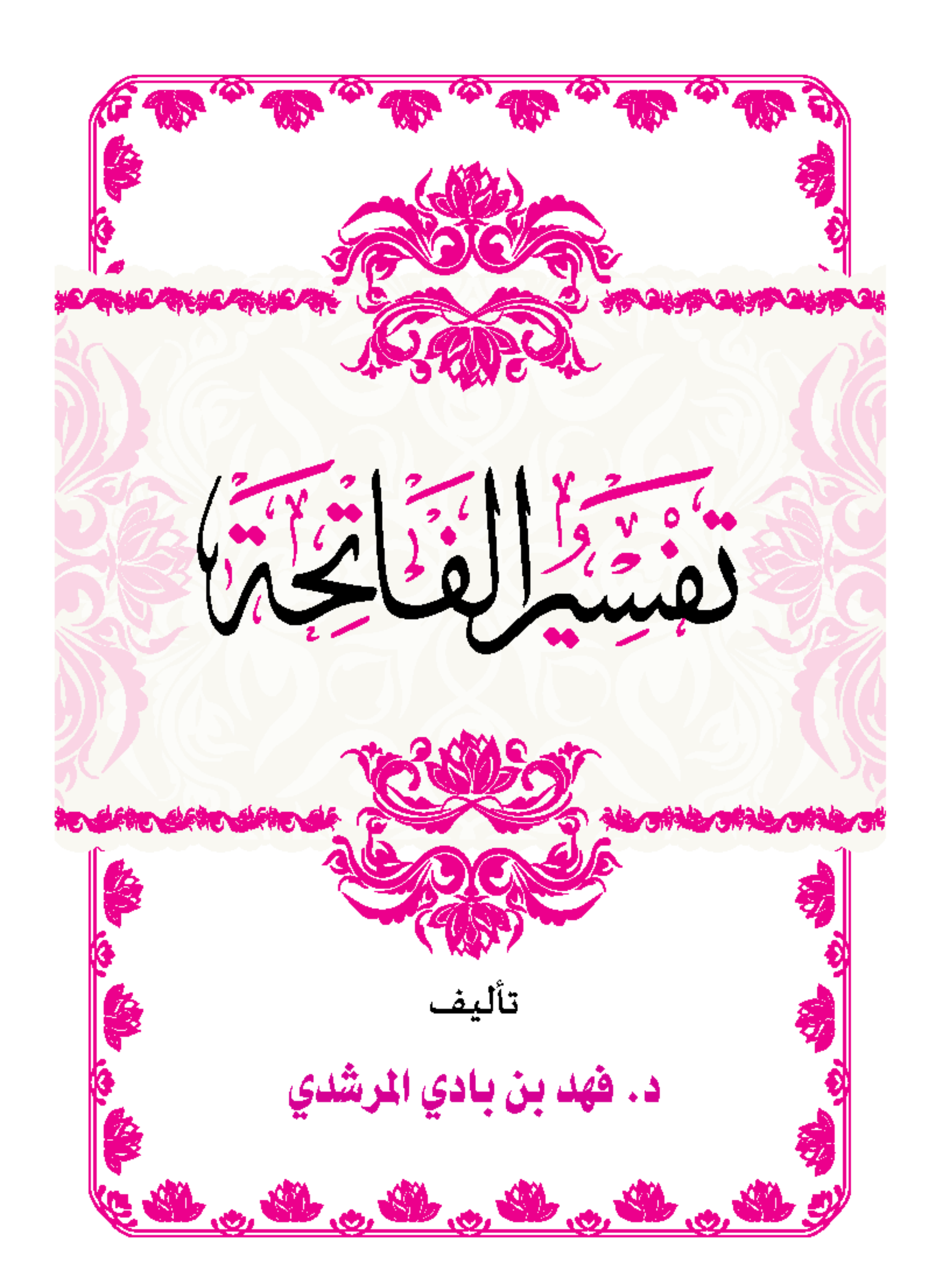

تفسير الفاتحة

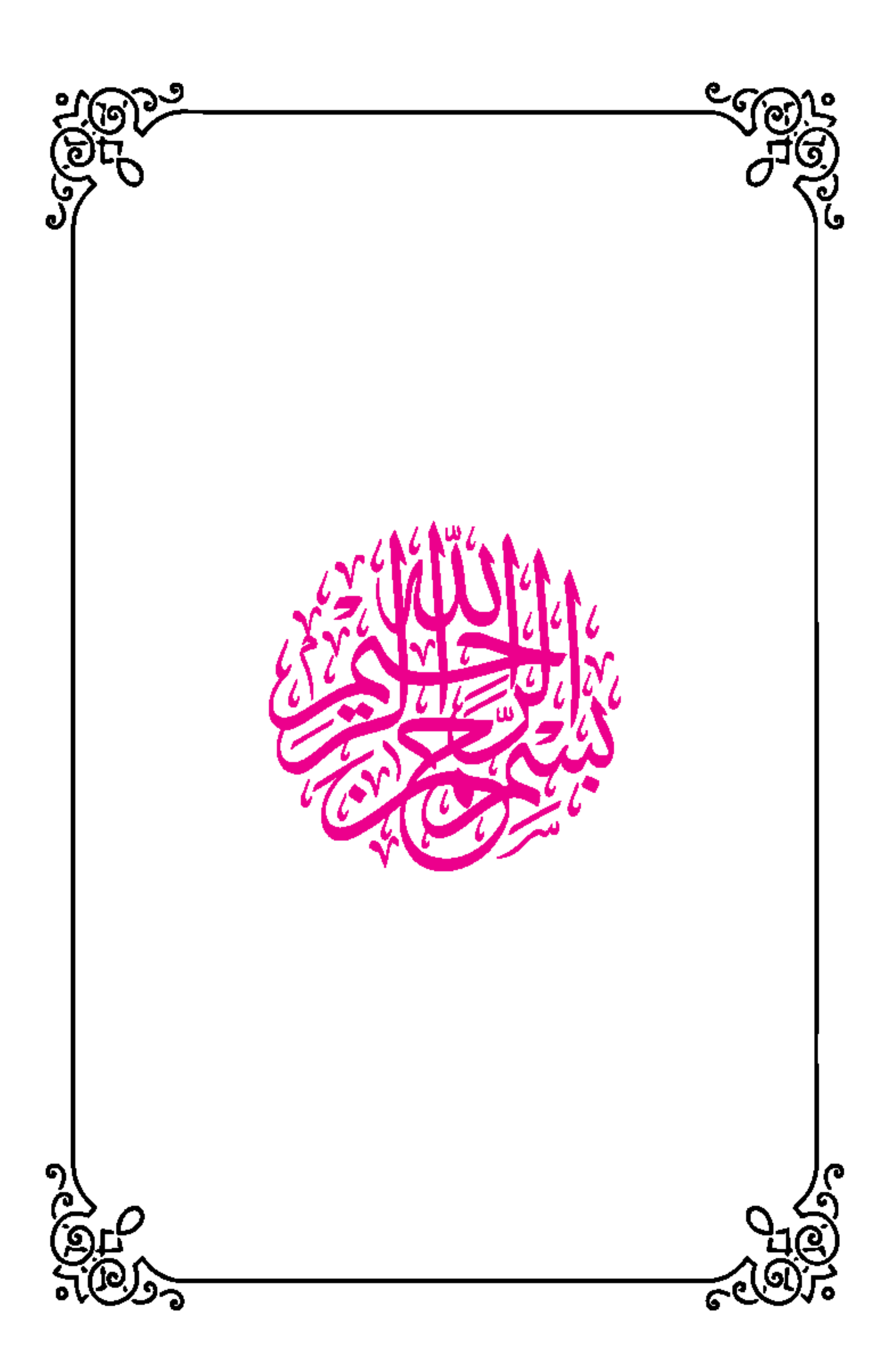
الطبعة الأولى
١٤٤٣ هـ - ٢٠٢١م



تفسير الفاتحة

تأليف

د. فهد بن بادي المرشدي


بسم الله الرحمن الرحيم



تفسير الفاتحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

سُمّيت هذه السورة: «فاتحة الكتاب»، لأنه يُفتتح بكتابتها المصاحف، وبقراءتها الصلوات، فهي فواتح لما يتلوها من سور القرآن في الكتاب والقراءة؛ وسُمّيت: «أم القرآن» لتقدمها على سائر سور القرآن غيرِها، وتأخُّر ما سواها خلفها في القراءة والكتابة، وإنما قيل لها أمَّ القرآن، لتسمية العرب كل جامع أمرًا أو مُقدِّمٍ لأمر، إذا كانت له توابعُ تتبعه، هو لها إمام جامع، وأما وصف النبي ﷺ آياتها السبعَ بأنهن مَثان،



فلأنها تُثَنَّى قراءتُها في كل صلاة تطوُّع ومكتوبة[1].

وقد اختلف العلماء في البسملة: هل هي من الفاتحة، أم لا؟ والأكثر على أنها ليست آية من الفاتحة[2].

والبسملة معناها: أَدْخلُ في هذا الأمر من قراءةٍ أو دعاء أو غير ذلك ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ لا بحولي ولا بقوتي، بل أفعلُ هذا الأمر مستعينا بالله، متبركا باسمه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ[3].

وقول القائل عند ابتدائه بتلاوة القرآن: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ

---

(١) جامع البيان، للطبري (١/ ١٠٥، ١٠٧).

(٢) ينظر: تفسير سورة الفاتحة، إعداد القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية (١٩).

(٣) تفسير الفاتحة، محمد بن عبدالوهاب (٣٧).



﴿ٱلرَّحِيمِ﴾، إنما معناه: أقرأ مُبتدئًا بتسمية الله، أو أبتدئ قراءتي بتسمية الله، فالمعنى: أقرأ بتسمية الله وذِكره، وأفتتح القراءة بتسمية الله بأسمائه الحسنى وصفاته العُلَى[1].

وقيل: معنى ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾: ابتدئ بكل اسم لله تعالى، لأن لفظ (اسم) مفردٌ مضاف، فيعم جميع الأسماء الحسنى[2].

(١) جامع البيان، للطبري (١/ ١١٥، ١١٦).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (٢٧).





معنى قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾

الحَمدُ فِي كلامِ العربِ معناهُ: الثَّناءُ الكَاملُ[1]، ولكن بين الحمد والثناء فرقٌ، ولهذا يقول الله عَزَّوَجَلَّ في الحديث القدسي: «قَسَمْتُ الصّلاَةَ بَيْني وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قَالَ الله تعالى: حَمِدَنِي عَبْدِي. وَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾. قَالَ الله تعالى: أَثْنَى عَلَيّ عَبْدِي، وإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، قال: مجدني عبدي»، فقال: (حمدني عبدي)،

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١/ ٢٠٥).

ثم قال: (أثنى علي عبدي)، فالثناءُ: تكريرُ الحمد وتثنيته، فالحمد جنسٌ، والثناءُ تكريره، والتمجيدُ: ذكرُ الأوصاف العظيمة في نفسها، فهما تكثير للحمد، لكن الثناء تكثيرٌ يرجع إلى كميته، والتمجيد تكثيرٌ يرجع إلى كيفيته(١)، فالحمد معناه: الثناء على الله باللسان مع المحبة والتعظيم، فإنَّ الحمد لا يسمى حمدًا حتى يكون ثناءً فيه المحبة والتعظيم، وإلا فإن الثناء أخصُّ من الحمد، ولذا عُطف عليه في الحديث السابق، وهذا من عطف الخاص على العام، فالحمد يشمل الثناء وزيادة، فالثناء على الله مع الحب لله جَلَّ وَعَلَا والتعظيم له

(١) تفسير الفاتحة، لابن رجب (٧٠، ٩٢).



سبحانه بما له من الأسماء الحسنى والصفات العليا والأفعال التي هي محضُ إحسان أو محضُ عدلٍ وحكمة، كل هذه من أنواع المحامد التي يُحمد الله جَلَّ وَعَلَا عليها[1].

ويذكرُ المفسِّرونَ في هذا الموضعِ الفرقَ بينَ الحمدِ والشُّكرِ، **فمنهم مَن يقولُ:** الحمدُ هو الشُّكرُ، فهو بمعنى الشُّكرِ، **فيقولون:** الحمد: هو الشكر على النعم، فالحمد والشكر بمعنى واحد، لأن جميع أهل المعرفة بلسان العرب يوقعون كلًا من الحمد والشكر مكان الآخر، فـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ معناه: الشكر لله خالصًا

(١) تفسير الفاتحة، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ.



دون سائر ما يُعبد من دونه، ودون كلِّ ما برَأَ من خلقه، وهذا ما رجَّحه ابن جرير[1].

ومنهم من يُفرِّقُ، وأحسنُ ما قيلَ في هذا: أنَّ الحمدَ هو الثَّناءُ على المحمودِ باللِّسانِ بصفاتِهِ، والشُّكرُ هو تعظيمُ المنعِمِ، فهو ثناءٌ وتعظيمٌ سببُهُ النِّعمةُ، ويكونُ بالقلبِ واللِّسانِ والجوارحِ، والحمدُ يكونُ بالقلبِ واللِّسانِ؛ لأنَّه ثناءٌ[2]؛ فالحمد: ثناءٌ على المحمود، ويشاركه الشكر، إلا أنَّ بينهما فرقًا[3]، لأنه اشتهر عند كثير من العلماء المتأخرين أنَّ الحمد هو: الثناء بالقول

---

(١) جامع البيان، للطبري (١/ ١٣٥).

(٢) تفسير القرآن، عبدالرحمن بن ناصر البراك.

(٣) زاد المسير، لابن الجوزي (٣٣).



على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية، والشكر لا يكون إلا على المتعدية، ويكون بالجنان واللسان والأركان، فالتحقيق أنَّ بينهما عموم وخصوص، **فالحمد أعمُّ** من الشكر من حيث ما يقعان عليه، لأنه يكون على الصفات اللازمة والمتعدية، والشكر لا يكون إلا على الصفات المتعدية؛ **والشكر أعمُّ** من حيث ما يقعان عليه، لأن يكون بالقول والعمل والنية، والحمد لا يكون إلا بالقول(١)، **فالفرق بينهما**: أنَّ الحمد يتضمن المدح والثناء على المحمود بذكر محاسنه سواء كان إحسانا إلى الحامد أو لم يكن، والشكر لا يكون إلا على إحسان المشكور، فمن هذا

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ١٢٨).

الوجه الحمد أعم من الشكر، لأنه يكون على المحاسن والإحسان، فإنَّ الله يُحمد على ما له من الأسماء الحسنى وما خلقه في الآخرة والأولى، ولهذا قال: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾ الآية [الإسراء:١١١]، وقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام:١] إلى غير ذلك من الآيات؛ وأما الشكر فإنه لا يكون إلا على الإنعام، فهو أخص من الحمد من هذا الوجه، لكنه يكون بالقلب واليد واللسان، ولهذا قال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ [سبأ:١٣]؛ والحمد إنما يكون بالقلب واللسان، فالحمد هو: الثناء باللسان، فأخرج بقوله: الثناء باللسان الثناء بالفعل الذي يُسمَّى لسان الحال، فذلك من نوع الشكر، فمن هذا الوجه الشكر

أعم من جهة أنواعه، والحمد أعم من جهة أسبابه[(١)]، فالحمد: الثناء عليه بما هو به، والشكر: الثناء عليه بما هو منه[(٢)]، فالحمد قد يقع ابتداء للثناء، والشكر لا يكون إلا في مقابلة النعمة[(٣)].

والتحقيق: أنَّ الحمد، هو ارتضاء صفات المحمود الحسنة، والإخبار عنها باللسان، فهو إذًا: الإخبار بمحاسن المحمود مع المحبة لها والرضا بها[(٤)]، فلو

(١) تفسير الفاتحة، محمد بن عبدالوهاب (٣٨)؛ وتفسير الفاتحة، لا بن رجب (٧٠).

(٢) الكشف والبيان، للثعلبي (١/ ١٠٨).

(٣) زاد المسير، لابن الجوزي (٣٣).

(٤) تفسير الفاتحة، لا بن رجب (٧١).



أخبر مخبرٌ بمحاسن غيره من غير محبة لها لم يكن حامدًا، ولو أحبَّها ولم يُخبر بها لم يكن حامدًا[1]، فالحمد وصفُ المحمود بالكمال مع المحبة والتعظيم؛ لأن مجرد وصفه بالكمال بدون محبة ولا تعظيم: لا يُسمى حمدًا؛ وإنما يُسمى مدحًا[2]، فالحمد هو الثناء على الله بصفات الكمال، وبأفعاله الدائرة بين الفضل والعدل، المشتملة على الحكمة التامة؛ ولا بد في تمام حمد الحامد من اقتران محبة الحامد لربه وخضوعه له، فالثناء المجرد من محبة وخضوع ليس حمدًا كاملًا[3].

---

(١) مجموع الفتاوى ٨/ ٣٧٨، (٦/ ٢٥٩).

(٢) تفسير القرآن الكريم (الفاتحة-البقرة)، لابن عثيمين (١/ ٩).

(٣) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (٢٧).



والألف واللام في الحمد لاستغراق جميع أجناس الحمد وصنوفه لله تعالى[1]، فدخول الألف واللام في الحمد، معناه: جميعُ المحامد والشكرُ الكامل لله. ولو أُسقطتا منه لما دَلَّ إلا على أنَّ حَمْدَ قائلِ ذلك لله دون المحامد كلها[2]، فتعريفه لاستغراق أفراد الحمد، وأنها مختصة بالرب سبحانه على معنى أنَّ حمد غيره لا اعتداد به، لأن المنعم هو الله عَزَّوَجَلَّ؛ أو على أنَّ حمده هو الفرد الكامل، فيكون الحصر ادعائيًا[3].

وقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ معناه: الحمدُ ثابتٌ لله، ومستقرٌّ

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ١٣١).

(٢) جامع البيان، للطبري (١/ ١٣٨).

(٣) فتح البيان، للقنوجي (٤٢).



له[١]، وهو ثناءٌ أَثنَى بِهِ على نَفْسِهِ وفي ضِمْنِهِ أَمَرَ عِبَادَهُ أَنْ يُثنوا عليهِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: قُولوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾[٢]، فالله جلَّ ذِكره حَمِدَ نفسه وأثنى عليها بما هو له أهلٌ، ثم علَّم ذلك عباده، وفرَضَ عليهم تلاوته، اختبارًا منه لهم وابتلاءً؛ فقال لهم قولوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾[٣]، فلفظُهُ لفظ الخبر، ومعناه الأمر، فتقديره: قولوا: الحمد لله[٤]، فهو تعالى يحمدُ نفسَهُ بذلك، ويُعلِّمُنا أنْ نحمدَهُ بذلكَ، فهذا قولُهُ سبحانَهُ يحمدُ نفسَهُ، فإذا قرأَ المسلمُ هذهِ

(١) زاد المسير، لابن الجوزي (٣٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ١٢٨).

(٣) جامع البيان، للطبري (١/ ١٣٩).

(٤) زاد المسير، لابن الجوزي (٣٣).

الآيةَ كانَ حمدًا منه لربِّهِ [١].

و(الله) عند المحققين أنَّه اسم الله الأعظم، لأنه يوصف بجميع الصفات، وقد ذكرَه الله تعالى في ألفين وثلثمائة وستين موضعًا من القرآن[٢]، وهو علَمٌ على الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَى المعبود بحقٍ دون سواه، وهو أخص أسماء الله تعالى، ولا يُسمَّى به غيره سبحانه.

وأما تأويل قول الله تعالى ذكره «الله»، فإنه على معنى ما رُوي عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هو الذي يَأْلَهُهُ كُلُّ شيء، ويعبُدُه كلُّ خلْقٍ. وعن ابن عباس أنه

(١) تفسير القرآن، عبدالرحمن بن ناصر البراك.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ١٢٢)؛ وفتح البيان، للقنوجي (٤١).



قرأ: (وَيَذَرَكَ وَإِلاهَتَك)، قال: «وعبادَتك»، ويقول: «إنما كان فرعونُ يُعبَد ولا يَعبُد»، فالإلاهة على ما فسَّره ابن عباس مصدرٌ من قول القائل: أَلَه اللهَ فلانٌ إلاهةً، كما يقال: عَبَد اللهَ فلانٌ عبادةً. فقد بين قول ابن عباس هذا: أنَّ «أله» عَبَد، وأن «الإلاهة» مصدرُه[1]، فـ(الله): هو المألوه المعبود، المستحق لإفراده بالعبادة؛ لما اتصف به من صفات الألوهية[2].

فإذا عرفت معنى (الله) أنه هو: الإله، وعرفت أن الإله هو المعبود، ثم دعوت الله أو ذبحت له أو نذرت له، فقد عرَفت أنه الله؛ فإن دعوت مخلوقًا أو ذبحت له

(١) جامع البيان، للطبري (١/ ١٢٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (٢٧).





أو نذرت له، فقد زعمت أنه هو الله[1].

(١) تفسير الفاتحة، محمد بن عبدالوهاب (٤٢).





معنى قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾

الرَّبُ في كلام العرب منصرفٌ على معانٍ: فالسيد المطاع فيها يُدعَى ربًّا، والرجل المُصلح للشيء يُدعى ربًّا، والمالك للشيء يدعى رَبَّه. فربّنا جلَّ ثناؤه: السيد الذي لا شِبْه لهُ، ولا مِثلَ في مثل سُؤدده، والمصلحُ أمرَ خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه، والمالكُ الذي له الخلق والأمر[1]، فالرَّبُّ هو: المَالِكُ المُتَصَرِّفُ، وَيُطلَقُ في اللُّغَةِ على السَّيِّدِ، وعلى المُتَصَرِّفِ لِلإِصلاحِ، وَكُلُّ

(١) جامع البيان، للطبري (١/ ١٤٣).

ذلك صحيحٌ فِي حقِّ اللهِ تعالى. ولا يُستَعْمَلُ الرَّبُّ لغَيرِ اللهِ، بَلْ بِالإِضَافَةِ تَقُولُ: رَبُّ الدَّارِ، رَبُّ كَذَا، وأَمَّا الرَّبُّ فلا يُقَالُ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وقد قيل: إِنَّهُ الاسمُ الأَعظَمُ[1]، فالرب: هو من اجتمع فيه ثلاثة أوصاف: الخلق، والملك، والتدبير؛ فهو الخالقُ المالك لكل شيء المدبر لجميع الأمور[2].

والقول في تأويل قوله: ﴿ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾: (العالَمون) جمع عالَم، والعالَمُ: جمعٌ لا واحدَ له من لفظه، وهو اسمٌ لأصناف الأمم[3]، وأَصنَافِ المَخلُوقَاتِ في السَّمَاوَاتِ

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ١٣١).

(٢) تفسير القرآن الكريم (الفاتحة- البقرة)، لابن عثيمين (١/ ٩).

(٣) جامع البيان، للطبري (١/ ١٤٤).



والأَرضِ، فهو: كُلُّ موجُودٍ سِوَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ [1]، فهو اسمٌ لكل ما سوى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ فكل ما سواه من ملك ونبي وإنسي وجني وغير ذلك مربوبٌ مقهور يتصرف فيه[2]، وهذا القول أصح هذه الأقوال لأنه شامل لكل مخلوق وموجود، ودليله قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ [الشعراء:٢٣][3].

وقيل: إنَّ (العالَمَ) لا يُطلق بالإفراد إلا مضافًا لنوع يُخصصه، فيقال: عالَم الإنس، عالم الحيوان، عالم

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ١٣١).

(٢) تفسير الفاتحة، محمد بن عبدالوهاب (٤١).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١/ ٢١٤).

النبات؛ وليس اسمًا لمجموع ما سواه تعالى، وهذا هو تحقيق اللغة فإنه لا يوجد في كلام العرب إطلاقُ عالَم على مجموع ما سوى الله تعالى، وإنما أطلقه على هذا علماء الكلام في قولهم: (العالَم حادث)؛ فهو من المصطلحات[1].

ومعنى الآية: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾: يعني: جميع أنواع المحامد من صفات الجلال والكمال هي له وحده دون من سواه؛ إذ هو ربُّ كل شيء وخالقه ومدبره[2]، فـ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ وصفٌ لاسم الجلالة؛ فإنه بعد أن أسند الحمد لاسمِ ذاته تعالى تنبيهًا على الاستحقاق الذاتي، عقَّبَ بالوصف وهو الرب؛ ليكون

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١/ ١٦٨).

(٢) المختصر في تفسير القرآن الكريم (١).



الحمد متعلقًا به أيضًا، ليؤذن باستحقاقه الوصفي أيضًا للحمد كما استحقه بذاته، وقد أجرى عليه أربعة أوصاف هي: رب العالمين، الرحمن، الرحيم، مالك يوم الدين؛ للإيذان بالاستحقاق الوصفي، فإنَّ ذكر هذه الأسماء المشعرة بالصفات يؤذن بقصد ملاحظة معانيها الأصلية [1].

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١/ ١٦٦).





معنى قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: هما اسمان من أسمائه تعالى، يتضمنان إثبات صفة الرحمة لله تعالى كما يليق بجلاله، فهما اسمان دالان على أنه تعالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت كل شيء، وعمَّت كل حي، وقد كتبَ اللهُ الرحمة الكاملة للمتقين المتبعين لأنبيائه ورسله؛ فهؤلاء لهم الرحمة المطلقة الكاملة، فـ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: يعني: ذو الرحمة العظيمة التي اتصف بها، المتعلقة بالمرحوم، فالنعم كلها من آثار

رحمته [١]، فهما اسمان مشتقان من الرحمة، ولكن أحدهما أبلغ من الآخر، مثل: العلاَّم والعليم[٢]، فرحمن أشدُّ مبالغة من رحيم [٣]، فالرحمن معناه: ذو الرحمة التي لا نظير له فيها، وبناء (فعلان) في كلامهم للمبالغة، فإنهم يقولون للشديد الامتلاء: ملآن، وللشديد الشبع: شبعان[٤]، وقد تقرَّر أنَّ زيادة البناء تَدُلُّ على زيادةِ المَعْنَى[٥]، فالرحمن صفةُ مبالغة من

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (٢٧).

(٢) تفسير الفاتحة، محمد بن عبدالوهاب (٣٧).

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ١٢٤).

(٤) زاد المسير، لابن الجوزي (٣٢).

(٥) فتح القدير، للشوكاني (١٥).

الرحمة، ومعناها أنه انتهى إلى غاية الرحمة كما يدل على الانتهاء سكران وغضبان، وهي صفةٌ تختص بالله ولا تطلق على البشر، وهي أبلغ من فعيل، وفعيلٌ أبلغ من فاعل، لأنَّ راحماً يقال لمن رحم ولو مرة واحدة، ورحيماً يقال لمن كثُر منه ذلك، والرحمن النهاية في الرحمة[1].

وقد اختلف المفسرون في التفريق بينهما على أقوال منها:

القول الأول: أن الرَّحْمَنُ: اسمٌ عامٌّ في جميعِ أَنواعِ الرَّحمةِ يختصُّ به اللهُ تعالى، والرَّحيمُ إِنَّما هو من جِهَةِ المُؤمنينَ[2]، فاسمُهُ الرَّحمنَ يدلُّ على الرَّحمةِ العامَّةِ،

(١) المحرر الوجيز، لابن عطية (٣٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ١٢٥).



واسمُهُ الرَّحيمُ يدلُّ على الرَّحمةِ الخاصَّةِ[1]، فـ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾: ذو الرحمة العامة الشاملة الذي وسعت رحمته جميع الخلق في أرزاقهم ومصالحهم، وعمَّت المؤمن والكافر، و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ خاصٌّ للمؤمنين[2].

والقول الثاني: أنَّ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ ذو الرحمة العامة في الدنيا والآخرة، و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ ذو الرحمة الخاصة بالمؤمنين في الآخرة[3]، فالرحمن هو ذو الرحمة الشاملة لجميع الخلائق في الدنيا، وللمؤمنين في الآخرة؛ والرحيم ذو

(١) تفسير القرآن، عبدالرحمن بن ناصر البراك.

(٢) زاد المسير، لابن الجوزي (٣٢).

(٣) تفسير الفاتحة، لا بن رجب (٧٦).



الرحمة للمؤمنين يوم القيامة، وعلى هذا أكثر العلماء[(١)]، فالرحمن أَشَدُّ مبالغة في الرحمة لعمومها في الدارين لجميع خلقه، والرحيم خاصة بالمؤمنين، لكن جاء في الدعاء المأثور: «**رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما**»[(٢)]، فإِن قيل: كيف يُمكن الجمعُ بين ما قرَّرتُم، وبين ما جاءَ في الدُّعاءِ المأثُورِ، فالظَّاهرُ في الجوابِ والله أَعلم، أَنَّ الرَّحيمَ خاصٌّ بالمُؤمنينَ كما ذكرنا، لكنَّهُ لا يَختصُّ بهم في الآخِرةِ؛ بل يشملُ رحْمَتهُم في الدُّنيا أَيضًا، فيكونُ معنى: رحِيمهُمَا رَحْمَتُهُ بالمُؤمنينَ فيهِمَا[(٣)].

(١) أضواء البيان، للشنقيطي (١/ ٤٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ١٢٦).

(٣) أضواء البيان، للشنقيطي (١/ ٤٨).



والقول الثالث: أنَّ الرحمن من قامت به الرحمة، والرحيم من عدَّى الرحمةَ إلى غيره[1]، فإنه إذا اجتمع الرحمن مع الرحيم في مثل البسملة والفاتحة، وقوله تعالى : ﴿هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣]؛ دلَّ الرحمن على إثبات صفة الرحمة الذاتية القائمة به سبحانه، ودلَّ الرحيم على إثبات صفة الرحمة الفعلية لله عَزَّوَجَلَّ المتعلقة بالمرحوم، فهو تعالى فاعل الرحمة وموصلها إلى من شاء من عباده، فالأول دالٌّ على أنَّ الرحمة صفته، والثاني دالٌّ على أنه يرحم خلقه برحمته، وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣]، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

(١) تفسير الفاتحة، لابن رجب (٨٦).



[التوبة:١١٧] ولم يجيء قط رحمنٌ بهم، فعُلم أنَّ الرحمن هو الموصوف بالرحمة، و الرحيم هو الراحم برحمته[1]، فأحسنُ، أو أقربُ ما قيلَ في الفرقِ بينهما: أنَّ الرَّحمنَ يتضمَّنُ صفةَ الرَّحمةِ الذَّاتيَّةِ، والرَّحيمُ يتضمَّنُ صفةَ الرَّحمةِ الفعليَّةِ، فلا يقالُ إنَّه رحمنٌ بالمؤمنين، وإنما هو رحمنُ الدُّنيا والآخرةِ[2]، فـ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ هو: ذو الرحمة الواسعة؛ ولهذا جاء على وزن «فَعْلان» الذي يدل على السعة، و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ هو: ذو الرحمة الواصلة، أي: المُوصل للرحمة من يشاء من عباده؛ ولهذا جاءت على وزن

(١) بدائع الفوائد، لابن القيم (١/ ٢٤)، ومدارج السالكين (١/ ٧٥).

(٢) تفسير القرآن، عبدالرحمن بن ناصر البراك.



«فعيل» الدال على وقوع الفعل، فهنا رحمةٌ هي صفته، وهذه دلَّ عليها ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾؛ ورحمةٌ هي فعله، أي: إيصال الرحمة إلى المرحوم، وهذه دلَّ عليها ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾[1]، فـ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ هو الرحمن بذاته، و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾؛ هو الذي يرحم برحمته من شاء من خلقه، ومنهم المؤمنون من عباده[2].

وقد وجَّه ابن جرير الأقوال الواردة في بيان ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ بأنها صحيحة مع اختلافها في بيان الفرق بين الاسمين، مبينًا أنَّ الله رحمن الدنيا والآخرة بجميع

(١) تفسير القرآن الكريم (الفاتحة)، لابن عثيمين (١/ ٥).

(٢) المختصر في تفسير القرآن الكريم (١).



خلقه، ورحيم الدنيا والآخرة أيضًا، ولكن هذه الرحمة خاصة بالمؤمنين من عباده[1]، فالرحمن والرحيم اسمان مشتقان من الرحمة، والمعنى الذي في تسمية الله بالرحمن، دون الذي في تسميته بالرحيم، هو: أنه بالتسمية بالرحمن موصوفٌ بعمومِ الرحمة جميعَ خلقه، وأنه بالتسمية بالرحيم موصوفٌ بخصوص الرحمة بعضَ خلقه، إمَّا في كل الأحوال، وإما في بعض الأحوال، فربُّنا جل ثناؤه رحمنُ جميع خلقه في الدنيا والآخرة، ورحيمُ المؤمنين خاصةً في الدنيا والآخرة، فالله قد خصَّ المؤمنين من رحمته في الدنيا والآخرة، مع ما قد عمَّهم به والكفارَ في الدنيا من الإفضال

(١) موسوعة التفسير بالمأثور (٢/ ٢١).



والإحسان إلى جميعهم، في البَسْط في الرزق، وتسخير السحاب بالغَيْثِ، وإخراج النبات من الأرض، وصحة الأجسام والعقول، وسائر النعم التي لا تُحصى، التي يشترك فيها المؤمنون والكافرون، فهذا الذي عَمَّ جميعَهم به في الدنيا من رحمته، فكان رَحمانًا لهم به، وأما في الآخرة، فالذي عمَّ جميعهم به فيها من رحمته، فكان لهم رحمانًا: في تسويته بين جميعهم جل ذكرُه في عَدله وقضائه، فلا يظلم أحدًا منهم مِثْقال ذَرّة، وإن تَكُ حسنةً يُضاعفها، ويُوَفِّي كُلَّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ، فذلك معنى عمومه في الآخرة جميعَهم برحمته الذي كان به رحمانًا في الآخرة؛ وأما ما خصَّ به المؤمنين في عاجل الدنيا من رحمته، الذي كان به رحيمًا لهم فيها، كما قال

جل ذكره: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣] ، فالله جل ثناؤه قد خصَّ عباده المؤمنين في عاجل الدنيا بما لطف بهم من توفيقه إياهم لطاعته، والإيمان به وبرسله، واتباع أمره واجتناب معاصيه، فخصَّهم به، دونَ من خذَله من أهل الكفر به؛ وأمَّا ما خصَّهم به في الآخرة، فكان به رحيماً لهم دون الكافرين، بما أعدَّ لهم دون غيرهم من النعيم والكرامة التي تقصرُ عنها الأماني[1].

(١) جامع البيان، للطبري (١/ ١٢٧).





معنى قوله تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾

﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ بمعنى أنه يملك الحُكمَ بينهم وفصلَ القضاء، متفرِّدًا به دون سائر خلقه، و(الدين): الحساب والجزاء[1]، فهو سبحانه وحده مالك يوم القيامة، وهو يوم الجزاء على الأعمال[2].

وتخصيص المُلْكِ بيوم الدين لا ينفيه عمَّا عداه، لأنه قد تقدَّم الإخبار بأنه ربُّ العالمين، وذلك عامٌ في

(١) جامع البيان، للطبري (١/ ١٥٢).

(٢) التفسير الميسر (١).

الدنيا والآخرة، وإِنَّمَا أُضِيفَ إِلى يومِ الدِّينِ لأَنَّهُ لا يَدَّعِي أَحدٌ هُنَالِكَ شيئًا، ولا يَتكَلَّمُ أَحدٌ إِلا بإِذنِهِ(١)، فخَصَّ يومَ الدِّينِ بالذِّكرِ معَ كونهِ مالِكًا للأَيَّامِ كُلِّها لأَنَّ الأَملاكَ يومَئِذٍ زَائِلَةٌ فلا مُلْكَ ولا أَمْرَ إِلَّا لَهُ، قال اللهُ تعالى: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفرقان:٢٦](٢)؛ فإنه في ذلك اليوم يظهرُ للخلق تمام الظهور كمالُ ملكه وعدله وحكمته، وانقطاع أملاك الخلق، حتى إنه يستوي في ذلك اليوم الملوك والرعايا، والعبيد والأحرار، كلهم مذعنون لعظمته، راجون ثوابه، خائفون من عقابه، فلذلك خصَّه بالذكر، وإلا فهو مالكٌ ليوم الدين ولغيره من

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ١٣٤).

(٢) معالم التنزيل، للبغوي (١٠).





الأيام[1].

ولما وصف تعالى نفسه بأنه رب العالمين الرحمن الرحيم، وكان ذلك مفيدًا كمالَ رِفْقه تعالى بالمربوبين في سائر أكوانهم، وأنَّ تصرفه تعالى في الأكوان والأطوار تصرف رحمةٍ عند المعتبر، وكان من جملة تلك التصرفات تصرفات الأمر والنهي المعبر عنها بالتشريع؛ كان من مقتضى المقام تعقيبه بذكر أنه صاحب الحُكم في يوم الجزاء؛ لأن الجزاء على الفعل سببٌ في الامتثال[2].

(١) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (٢٧).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١/ ١٧٣).

فهذه الآيات تضمنت الأوصاف التي أجريت على الله سبحانه من كونه ربًا للعالمين موجدًا لهم ومنعمًا بالنعم كلها، ومالكًا للأمر كله يوم الجزاء[1]، حيث لا تملك نفس لنفس شيئًا؛ فمن دعا الله في تفريج كربته وقضاء حاجته، ثم دعا مخلوقا في ذلك، ليأتي له بخير أو ليصرف عنه شرًا، مع تسمية نفسه عبدا له، قد أقرَّ له بالربوبية، ولم يُقر لله بأنه رب العالمين كلهم، بل جحد بعض ربوبيته، فمن عرَف تفسير هذه الآية وعرَف أن تخصيص الملك بذلك اليوم، مع أنه سبحانه مالك كل شيء ذلك اليوم وغيره؛ عرَف أن التخصيص لهذه المسألة الكبيرة العظيمة التي بسبب معرفتها دخل الجنة

(١) فتح البيان، للقنوجي (٤٧).



من دخلها، وبسبب الجهل بها دخل النار من دخلها.

فأين هذا المعنى والإيمان بما صرَّح به القرآن من قول صاحب البردة؟، فهل يجتمع في قلب عبد التصديق بهذه الأبيات والتصديق بقوله : ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الإنفطار:١٩]، وقوله ﷺ: «**يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئا**»، لا والله، إلا كما يجتمع في قلبه أن موسى صادق، وأن فرعون صادق، وأن محمدا صادق على الحق، وأن أبا جهل صادق على الحق[1].

(١) تفسير الفاتحة، محمد بن عبدالوهاب (٤٤).





معنى قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ معناه: لا نعبد إلا إياك، وقُدِّم على عامله لإفادة الحصر، و﴿نَعْبُدُ﴾ أي: نتذلل لك أكمل ذُلّ؛ ولهذا تجد المؤمنين يضعون أشرف ما في أجسامهم في موطئ الأقدام ذلًا لله عَزَّوَجَلَّ، فيسجد على التراب وتمتلئ جبهته من التراب؛ كل هذا ذلًا لله. و(العبد): هو الذي يوافق المعبود في مراده الشرعي؛ فـ «العبادة» تستلزم أن يقوم الإنسان بكل ما أُمر به، وأن يترك كل ما نُهي عنه؛ ولا يمكن أن يكون قيامه هذا بغير معونةِ

الله[1]، فمعنى قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أي: نخصك دون غيرك بأقصى غاية التذلل والخضوع لك محبة وتعظيمًا وخوفًا[2]، يعني: إياك نوحد، ومعناه: أنك تعاهد ربك أنك لا تشرك به في عبادته أحدًا، لا ملكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلًا ولا غيرهما[3].

ومعنى قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: يعني: وإياك يا رَبنا نستعين على عبادتنا إيَّاك وطاعتنا في أمورنا كلها، لا أحدًا سواك؛ إذْ كانَ من يكفُر بك يَستعين في أمورِه معبودَه

(١) تفسير القرآن الكريم (الفاتحة)، لابن عثيمين (١/ ١٣).

(٢) اللباب في تفسير الاستعاذة والبسملة وفاتحة الكتاب، د. سليمان بن إبراهيم اللاحم (٢٥٣).

(٣) تفسير الفاتحة، محمد بن عبدالوهاب (٥٠).

الذي يعبُدُه من الأوثان دونَك، فنحن بك نستعين في جميع أمورنا مخلصين لك العبادة [1].

فقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ أي: نخصك يا ربنا وحدك بالعبادة والاستعانة، فلا نعبد غيرك ولا نستعين بسواك، وهذا التزامٌ من العبد بعبودية ربه، وطلبٌ من ربه أن يعينه على القيام بذلك [2]، وقُدِّم المفعول وهو ﴿إِيَّاكَ﴾، وكرر للاهتمام والحصر، أي: لا نعبد إلا إياك، ولا نتوكل إلا عليك، وهذا كمال الطاعة، والدين يرجع كله إلى هذين المعنيين، فالأول تبرؤ من

---

(١) جامع البيان، للطبري (١/ ١٦٠).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (٢٧).



الشرك، والثاني تبرؤ من الحول والقوة، والتفويض إِلى اللهِ عَزَّوَجَلَّ. وهذا المعنى في غيرِ آيةٍ من القرآنِ، كما قال تعالى: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هُودٍ:١٢٣]، ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الْمُلْكِ:٢٩][1]، وإِتيَانُهُ بقولِهِ: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فيه إِشارةٌ إِلى أَنَّهُ لا ينبَغِي أَنْ يُتوَكَّلَ إِلا على من يَسْتَحِقُّ العبادَةَ؛ لأَنَّ غيْرَهُ ليسَ بيدهِ الأَمرُ[2].

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ١٣٤).

(٢) أضواء البيان، للشنقيطي (١/ ٥٠).





معنى قوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾

اختلفت عبارات المفسرين في تفسير الصراط، وإن كان يرجع حاصلها إلى شيء واحد، وهو المتابعة لله تعالى ولرسوله ﷺ، فقيل: هو القرآن، وقيل: الإسلام، وقيل: الحق، وكل هذه الأقوال صحيحة وهي متلازمة[1]، فقوله: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ أي: دلنا وأرشدنا، ووفقنا إلى الصراط المستقيم، وهذا يشمل الهداية إلى الصراط، وهي: التوفيق للزوم دين الإسلام،

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ١٣٧).

وترك ما سواه من الأديان، ويشمل الهداية في الصراط وقت سلوكه علما وعملا[1]، أي: وَفِّقنا للثبات على ما ارتضيتَه ووَفَّقتَ له مَنْ أنعمتَ عليه من عبادِك، من قولٍ وعملٍ، وذلك هو الصِّراط المستقيم؛ وإنما وصَفَه اللهُ بالاستقامة، لأنه صوابٌ لا خطأ فيه[2]؛ فيكون معنى قوله: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾: أي بَيِّن لنا، ودُلنا وأرشدنا إلى الصراط المستقيم، وألهمنا ووفقنا وثبتنا عليه[3]؛ فلمَّا تقدم الثناء على المسؤول تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ناسَبَ أَنْ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (٢٧).

(٢) جامع البيان، للطبري (١/ ١٧١، ١٧٦).

(٣) اللباب في تفسير الاستعاذة والبسملة وفاتحة الكتاب، د. سليمان بن إبراهيم اللاحم (٢٧١).

يُعَقَّبَ بالسُّؤالِ[1]، فهذا هو الدعاء الصريح الذي هوحظٌّ العبد من الله، وهو التضرع إليه والإلحاح عليه أن يرزقه هذا المطلب العظيم، الذي لم يُعطَ أحدٌ في الدنيا والآخرة أفضل منه[2]، فهذا الدعاء من أجمع الأدعية وأنفعها للعبد، ولهذا وجب على الإنسان أن يدعو الله به في كل ركعة من صلاته، لضرورته إلى ذلك[3].

وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية،

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ١٣٦).

(٢) تفسير الفاتحة، محمد بن عبدالوهاب (٥١).

(٣) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (٢٧).



بمعنى: التثبيت، وبمعنى: طلب مزيد من الهداية[1]، وهذا يتضمن بيان أنَّ العبد لا سبيل له إلى سعادته إلا باستقامته على الصراط المستقيم، وأنه لا سبيل له إلى الاستقامة على الصراط إلا بهداية ربه له؛ كما أنه لا سبيل له إلى عبادته إلا بمعونته[2].

---

(١) معالم التنزيل، للبغوي (١٠).

(٢) الفوائد، لابن القيم (١٩).





معنى قوله تعالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾

هذا إبانةٌ عن الصراط المستقيم، أيُّ الصراط هو؟ فهو مُفَسِّرٌ للصراط المستقيم[1]، وفائدة هذا: التوكيد والإيضاح والبيان، فهو تفسيرٌ للصراط المستقيم، وبيان أنه صراط المُنْعَم عليهم[2]، فيكون في إبدال ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ من (الصراط المستقيم) معنى بديع وهو أنَّ الهداية نعمة، وأنَّ المُنْعَم عليهم بالنعمة

(١) جامع البيان، للطبري (١/ ١٧٦).

(٢) اللباب في تفسير الاستعاذة والبسملة وفاتحة الكتاب، د. سليمان بن إبراهيم اللاحم (٢٨٠).

الكاملة قد هُدوا إلى الصراط المستقيم[(١)] .

وقوله: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أَيْ: مَننتَ عليهم بالهداية والتوفيق[(٢)]، يعني: اهدنا طريق الذين أنعمت عليهم من عبادك بهدايتهم؛ كالنبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين وحَسُنَ أولئك رفيقًا[(٣)]، فـ ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ هم المذكورون في سورة النساء في قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النِّسَاءِ: ٦٩][(٤)] .

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١/ ١٩٤).

(٢) معالم التنزيل، للبغوي (١٠).

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم (١).

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ١٤٠).





معنى قول تعالى:

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾

قرأ الجمهور: ﴿غَيْرِ﴾ بالجر على النعت[1]، فتكون (غير) صفةً للاسم الموصول (الذين)، على معنى أنهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الإيمان، وبين السلامة من الغضب والضلال، **وقيل**: هي بدلٌ من الاسم الموصول، على معنى أنَّ المنعم عليهم هم الذيم سلموا من الغضب والضلال، والتقدير: غير صراط

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ١٤٠).



المغضوب عليهم[1]، فيكون المعنى: اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم ممن تقدَّم وصفهم ونعتهم، غَيرِ صراط المغضوب عليهم، وهم الذين فسَدت إرادتهم، فعلموا الحقَّ وعدلوا عنه، ولا صراط الضالين، وهم الذين فقدوا العلم، فهم هائمون في الضلالة لا يهتدون إلى الحق[2]، يعني: غير صراط الذين غضبت عليهم وغير الضالين عن الهدى[3].

---

(١) اللباب في تفسير الاستعاذة والبسملة وفاتحة الكتاب، د. سليمان بن إبراهيم اللاحم (٢٨٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ١٤٠).

(٣) معالم التنزيل، للبغوي (١١).



وقُرئ ﴿غَيْرِ﴾ بالنصب، والنصب في الراء على ضربين: على الحال، والمعنى: صراط الذين أنعمت عليهم في حال كونهم غيرَ مغضوب عليهم ولا ضالين، أو على الاستثناء، كأنك قلت: إلا المغضوب عليهم(١).

والصَّوابُ من القول في تأويله وقراءته عندنا، القول الأول، وهو قراءةُ ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ بخفض الراء من ﴿غَيْرِ﴾، بتأويل أنها صفة لِـ ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ونعتٌ لهم، وإذا جعلنا ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ من صفة ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، فالمعنى: أنَّ الله وَصْفهم بما

(١) المحرر الوجيز، لابن عطية (٤٦)، وتفسير الفاتحة، لا بن رجب (١٣٩).

وصفهم به من توفيقه إياهم وهدايته لهم، وإنعامه عليهم بما أنعم الله به عليهم في دينهم، بأنهم غيرُ مغضوب عليهم ولا هم ضَالُّون[١].

وقوله تعالى: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾: هم اليهود، وكل من علم بالحق ولم يعمل به، وقوله تعالى : ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾: هم النصارى قبل بعثة النبي ﷺ، وكل من عمل بغير الحق جاهلًا به[٢]، فالمغضوب عليهم: هم العلماء الذين لم يعملوا بعلمهم، والضالون: العاملون بلا علم، فالأول صفه اليهود، والثاني صفة النصارى،

(١) جامع البيان، للطبري (١/ ١٨٢، ١٨٥).

(٢) تفسير القرآن الكريم (الفاتحة - البقرة)، لابن عثيمين (١/ ١٧).



وكثيرٌ من الناس إذا رأى في التفسير أنَّ اليهود مغضوب عليهم وأن النصارى ضالون، ظنَّ أن ذلك مخصوص بهم، وهو يُقرُّ أن ربَّه فارضٌ عليه أن يدعو بهذا الدعاء، ويتعوذ من طريق أهل هذه الصفات، فيا سبحان الله كيف يُعَلمه الله ويختار له، ويفرض عليه أن يدعو به دائما مع ظنه أنه لا حذر عليه منه، ولا يتصور أنه يفعله، هذا من ظن السوء بالله[1].

فيكون المعنى: اهدنا طريق الذين أنعمت عليهم من النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين، فهم أهل الهداية والاستقامة، ولا تجعلنا ممن سلك طريق المغضوب عليهم، الذين عرفوا الحق ولم يعملوا به، وهم اليهود،

(١) تفسير الفاتحة، محمد بن عبدالوهاب (٥٤).



ومن كان على شاكلتهم، ولا تجعلنا من الضالين، وهم الذين لم يهتدوا عن جهل منهم، فضلوا الطريق، وهم النصارى، ومن اتبع سنتهم[1]، وأكدَّ الكلام بـ(لا) في قوله: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ ؛ ليدُلَّ على أنَّ ثم مسلكين فاسدين، وهما طريقتا اليهود والنصارى[2]؛ وهذا يتضمن بيان طرفي الانحراف عن الصراط المستقيم، وأنَّ الانحراف إلى أحد الطرفين انحراف إلى الضلال، والانحراف إلى الطرف الآخر انحراف إلى الغضب[3]، فهذه الآية

(١) التفسير الميسر (١).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ١٤٠).

(٣) الفوائد، لابن القيم (١٩).

تضمنت انقسام الخلق إلى ثلاثة أقسام، وهم: المنعم عليهم، والمغضوب عليهم، والضالون، فإنَّ كل أحد إما أن يكون عالمًا بالحق الذي شرَعه الله تعالى متبعًا له، أو عالماً به غيرَ متبع له، أو غير عالم به ولا متبع له، **فالأول:** هو المنعم عليهم، **والثاني:** مغضوب عليهم، **والثالث:** ضال[1].

فالصِراطُ المستقيمُ هو: العلمُ بالحقِّ والعملُ بهِ، والَّذين عرفُوا الحقَّ وعملُوا بهِ هؤلاءِ هم الـمُنعَمُ عليهم من النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقِينَ والشُّهداءِ والصَّالحينَ.

والطَّائفةُ الثَّانيةُ: مَن عرفَ الحقَّ وعانَدَهُ، ولم

---

(١) تفسير الفاتحة، لا بن رجب (١٢٩).



يعملْ به ولم يقمْ بهِ، بل استكبرَ، وهذا سبيلُ المغضوبِ عليهم، وأخصُّ النَّاسِ بهذا هو اليهودُ.

والطَّائفةُ الثَّالثةُ: مَن جهلَ الحقَّ وعملَ بغيرِ علمٍ، وهم الضَّالُّون، وأخصُّ الطَّوائفِ بهذا هم النَّصارى[1].

وأما آمين فليست من الفاتحة، ولكنها تأمينٌ على الدعاء، ومعناها: «اللهم استجب»، فالواجب تعليم الجاهل لئلا يظن أنَّها من كلام الله جَلَّ وَعَلَا[2].



(١) تفسير القرآن، عبدالرحمن بن ناصر البراك.

(٢) تفسير الفاتحة، محمد بن عبدالوهاب (٥٥)؛ والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١/ ١٩٧).



المحتويات



المحتويات

